المؤسسات التعليمية التقليدية في إمبراطورية الجنوب ودورها في التنمية الاجتماعية والفكرية الثقافية والسياسية، أدماوا الكاميرون نموذجا

Les établissements d'enseignements traditionnels du Fombina et leur rôle dans le développement social, intellectuel et politique : Cas de la région de l'Adamawa - Cameroun.

SAIDOU ALI

Associate professor

Department of Arabic Language and Civilization
Faculty of Arts and Social Sciences
University of Ngaoundere
modibbodjo@yahoo.fr
(+237) 695357699/675747421

Résumé : Les établissements d'enseignements ou écoles traditionnels de l'Adamawa ont joué un rôle majeur dans l'éducation des générations et la formation des cadres et élites qualifiés dans les différents domaines de la vie sociale, économique, intellectuelle, scientifique, éducative et politique, à travers le développement des acquis scientifiques et des capacités de réflexion. Ils ont également contribué à la préservation de l'identité culturelle et du patrimoine historique, social, civilisationnel, linguistique et littéraire de la région. Cette recherche vise à mettre en lumière le rôle de ces institutions dans le domaine social, intellectuel, culturel, politique et civilisationnel, et tente de répondre à plusieurs questions, notamment : comment les établissements d'enseignements traditionnels ont joué leur rôle dans le développement social, culturel, intellectuel et politique dans l'actuelle région de l'Adamawa ? Quelles sont leurs contributions sur le plan éducatif, culturel et civilisationnel ? Pour répondre à ces questions, nous avons soumis la recherche à une approche historico-descriptive.

Mots-clés : Emirat du Fombina, établissements d'enseignements traditionnels, rôles culturel et intellectuel, rôles socio-politiques, Adamawa - Cameroun.

ملخص: أدت المؤسسات التعليمية المدرسة التقليدية المعروفة بالكتاتيب أو الدهاليز دورا كبيرا في تربية الأجيال وتأهيل الكوادر والأطر المثقفة والمؤهلة في مجالات الحياة المختلفة الاجتماعية والثقافية والفكرية والعلمية والتربوية والسياسية، من خلال تنمية المواهب العلمية والقدرات التفكيرية، كما أسهمت في المحافظة على الهوية الثقافية والمورث التاريخي والاجتماعي والحضاري واللغوي والأدبي. يأتي هذا البحث ليسلط الأضواء على

دور هذه المؤسسات في المجال الاجتماعي والفكري والثقافي والسياسي والحضاري، منطلقا من السؤال الرئيسي: هل للمؤسسات التعليمية التقليدية (الدهاليز دور) في التنمية الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية؟ وما إسهاماتها في الجوانب التربوية والتأهيلية والحضارية؟ والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي.

الكلمات المفتاحية: إمبراطورية الجنوب، المؤسسات التعليمية التقليدية، الدور الثقافي والفكري، الدور الاجتماعي والسياسي، أدماوا، الكاميرون.

مقدمة البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة، وثلاثة محاور، فخاتمة وتوصيات ومقترحات ثم قائمة للمصادر والمراجع، فأما المقدمة فتتناول أساسيات البحث، من توضيح مشكلته، وفرضيته، وأسباب وبواعث اختياره، ومنهجه، يستعرض المحور الأول: نبذة عن إمبراطورية الجنوب، وولاية أدماوا Adamawa الكاميرونية، والمحور الثاني: يتحدث عن المدرسة التقليدية من حيث تعريفها، وجذورها التاريخية وطبيعة عملها، ثم يتناول المحور الثالث أدوار المدرسة التقليدية الاجتماعية والثقافية والفكرية والعلمية والتربوية والسياسية، ويتناول العناصر التالية:

العنصر الأول: مشكلة البحث: تنطلق مشكلة البحث من السؤال التالي: ما الدور الذي قامت به المؤسسات التعليمية والمدرسة التقليدية في ولاية أدماوا؟

العنصر الثاني: فرضية البحث: أدت المؤسسات التعليمية والمدرسة التقليدية أدوارا كبيرة وكثيرةمتنوعة في ولاية أدماوا الكاميرونية؛

العنصر الثالث: أسباب وبواعث اختيار الموضوع وأهميته: هناك عدة أسباب وبواعث دفعت الباحث لاختيار والكتابة في هذا الموضوع، من تلك الأسباب والبواعث ما يلي:

الباعث الأول: أهمية المؤتمر: حيث جاء في ظروف وأوقات مناسبة، وتكمن أهمية هذا المؤتمر فهو قد يسهم في إعادة كتابة تاريخ إمبراطوريةالجنوب، حيث إن كثيرا من الكتَّاب والباحثين الذين تناولوا بالكتابة عنمماليك وإمبراطوريات في إفريقيا جنوب الصحراء، يتحاشونهذه الإمبراطوريةإلا القليل منهم،مما أدى إلى ندرة ما كتب عنها، الأمر الذي يثير عدة تساؤلات، أليس في فترة تاريخية معينة عرفت المنطقة التي تقع في جنوب إمبراطورية كانم برنو قامت إمبراطورية أو مملكة أو إمارة تعرف بإمبراطوريةالجنوب، وأليس هذه الإمبراطورية كانت تمتد لتغطي أجزاء واسعة في الدول المجاورة لها؟ ولماذا لا يتحدث الكتاب والباحثون عنها وعن دورها الحضاري والسياسي والإداري؟؛

الباعث الثاني: الإسهام في التعريف بالمنطقة: حيث إن كثيرا من الناس يجهلون أدوار إمبراطورية الجنوب التاريخية والحضارية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، ومن ثم يجهلون كذلك الأدوار التي أدتها المؤسسات التعليمية التقليدية بصفة عامة والتي في المنطقة التي تنضوي تحت لواء الإمبراطورية، وذلك بسبب إهمال أبناء المنطقة الكتابة عن الإمبراطورية، ورموزها السياسية والاجتماعية وأعلامها الدينية والفكرية

والعلمية، فقد ترك أمر كتابة تاريخ المنطقة والإمبراطورية إلى غير أبنائها، بل إلى أناس لا ينتمون إلى المنطقة، ولا إلى ثقافتها، فتجدهم يوردون معلومات بعضها مغلوطة، وبعض الآخر مشوهة، وأخرى ناقصة مبتورة أو سطحية وغير دقيقة ومضطربة؛

فالكاتب جوان جوزيف مثلا في كتابه المعنون **"الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء"**، تناول بإسهاب شديد عن الممالك والإمبراطوريات التي عرفت في الساحة الإفريقية جنوب الصحراء، وتحدث عن إمبراطورية كانم،وكانم برنو، وإمبراطورية غانا وإمبراطورية مالي، وإمبراطوريات في بنين وفي غابات غينيا الاستوائية، وفي أوغندا، وإمبراطوريات في السودان الغربي والشرقي وغيرها، مع أن بعض هذه الإمبراطوريات والممالك عاشت في وقت متزامن مع إمبراطورتي سُكُّتُووالجنوب، بل كان بعض تلك الممالك والإمبراطوريات وقعت بينها وبين إمبراطورية سُكُّتُو أو إمبراطورية الجنوب مواقع معروفة ومشهودة؛

ولكن لا نشم ولو رائحة كريهة عن إمبراطورية سُكُّتُوفضلا عن إمبراطورية الجنوب، وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر، وقد فعل فعلةجوانجوزيف عدد من الكتاب والباحثين، فيا ترى لماذا؟ ما هي أسباب هذا التهميش أو الإهمال أو التجاهل؟ وما الدوافع وراء ذلك؟ وأليس آن الأوان لأبناء إمبراطورية الجنوب أن يهبوا ويكشفوا الغطاء والستار عن هذه الإمبراطورية ويبرزوا دورها التاريخي والحضاري والثقافي والسياسي؟

الباعث الثالث: دعوة أبناء المنطقة إلى الاهتمام بها:كان من المفترض أن يكون أبناء المنطقة وأحفاد الإمبراطورية هم فرسان ميدان الكتابة عنها وكشف أغوارها ورواده، دون تهميش جزء من مكونات الإمبراطورية سواء الأجزاء الواقعة في نيجيريا أو تلك التي في الكاميرون وتشاد وإفريقيا الوسطى، فتاريخ الإمبراطوريةهو تاريخهم وهويتهم جميعا، وثقافتها ثقافتهم كافة، وحضارتها حضارتهم كلهم، فيجب أن يكونوا فخورين بها، معتزين بالانتماء إليها، فهم أولى بها وهي أولى بهم، فهم جزء لا يتجزأ منها، وهي أيضا لا تنفك عنهم، فهم أبناؤهاوهي أمهم وحاضنتهم، فهي أرضهم وسماؤهم، وهم جبالها وسحولها ووديانها وغاباتها؛

الباعث الرابع: الإسهام في إبراز دور الإمبراطورية والإمارات التابعة لها، ودور المؤسسات التعليمية التقليدية فيها: يضاف إلى ما سبقمن عزوف الباحثين والكتاب فيالكتابة عن الإمبراطورية، فلا بد من تسليط الأضواء على هذه الإمبراطورية، وإبراز دور المؤسسات التعليمية التقليدية فيها في النهضة الحضارية والثقافية والفكرية العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية، وتعتبر هذه الورقة بمثابة دعوة عامة وخاصة لكل الباحثين والكتاب والجامعات ومؤسسات ومراكز البحث العلمي للنهوض والكتابة عن الإمبراطورية والإمارات التابعة لها وكشف أغوارهما وخباياهما وأدوارهما التاريخية الحضارية، الاجتماعية الثقافية، الاقتصادية السياسية، الفكرية العلمية؛

وفي هذا الصدد يقول رجب محمد عبد الحليم: " إن الإسلام لم يترك أثرا عميقا في التركيب الجنسي لهذه الشعوب فحسب، بل إنه جاء بحضارة أتاحت للشعوب الزنجية طابعا حضاريا لا يزال واضحا حتى اليوم، مؤثرا في نظمهم السياسية والاجتماعية؛ ذلك أن

الإسلام حمل الحضارة إلى القبائل المتبربرة، وجعل من المجمعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوبا، وجعل تجارتها مع العالم الخارجي ميسورا"؛[1]

الباعث الخامس:التعريف بالمؤسسات التعليمية التقليدية: مما حفز الباحث في الكتابة عن المؤسسات التعليمية التقليدية هو تعريف الأفارقة عامة وأبناء المنطقة خاصة دور هذه المؤسسات في النهضة الحضارية والتاريخية والثقافية والاجتماعية والسياسية والإدارية والتربوية والتعليمية، وأن المستعمر الأوروبي أوهم الأفارقة بتشويه صورة هذه المؤسسات وإنقاص أدوارها بوصفها مؤسسات تعليمية تقليدية غير منتجة وغير قابلة للتطوير، وغير مواكبة لمتطلبات المجتمعات وتطلعاتها الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية والعلمية والفكرية، فهي جامدة خامدة؛

الباعث السادس: محاولة الربط بين ماضي شعوب إمبراطورية الجنوب وحاضرها فمستقبلها: ومن تلك البواعث أيضا محاولة ربط حاضر الأمة بماضيها لرسم مستقبلها، فقد نجح المستعمر[2] في الفصل بين ماضي الأفارقة بحاضرهم الأمر الذي جعلهم يتخبطون، حيث لا يعرفون من أين جاءوا؟ حتى يفهموا أين هم الآن؟ وإلى أين هم سائرون ومتجهون؟ وذلك انطلاقا من المبدئ القائل من لا يعرف ماضيه لا يفهم حاضره، وبالتالي لا يمكن أن يتصور مستقبله حتى يبنيه، وصور المستعمر القارة الإفريقية بأنها لا تاريخ لها، محاولا طمس معالم تاريخها أو تشويهه، علما بأنه لا يمكن معرفة تاريخ القارة دون الرجوع إلى دور المؤسسات التقليدية التعليمية هذه، حيث إنها الأسبق في الميدان، والأكثر مصداقية وحيادية وموضوعية، لأنها تعتبر من إنتاج أبناء القارة أنفسهم دون الإملاءات الخارجية والطموحات الأجنبية، فهي منهم ولهم، بخلاف تلك المؤسسات الغربية الاستعمارية التي جاءت وفق أجندات أجنبية، وإملاءات خارجية حاملة أغراض استعمارية؛

العنصر الرابع: منهج البحث:يسير الباحث في هذا العمل وفق المنهج الوصفي التحليلي التاريخي.

وأما محاور البحث فعلي النحو التالي:

المحور الأول: التعريف بإمبراطورية الجنوب وولاية أدماوا الكاميرونية:

يقول أحد الباحثين قد "عرف الناس أن إفريقيا لم تكن بلا تاريخ، كما كان الظن السائد من قبل، بل كانت هناك حضارات متميزة كان لكل منها طابعها الخاص، وكانت هناك شعوب متميزة صنعت هذه الحضارات، وكانت هذه الشعوب منضوية في لواء العديد من الممالك والإمبراطوريات التي ظهرت واختفت في دوران التاريخ، وكان هناك أيضاملوك وأباطرة كبار استطاعوا أن يمدوا نفوذهم وهيمنتهم على بطاح واسعة، يتحكمون علىالأرض والناس، ويفرضون نظم حكم مركزية مستقرة، ويوجهون العقائد والديانات، وينشؤون المسالك

[1]- رجب محمد عبد الحليم، (د.ت)، تاريخ المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، شركة سفير، جزيرة العرب، المهندسين، القاهرة، (د.ط): 106؛

[2]- الاستعمار: هو عبارة عن احتلال الأجانب أرض غيرهم بقوة السلاح لاستغلال خيراتها واستعباد سكانها، وتسخيرهم لأغراضهم"؛ (الإلوري، آدم عبد الله، 1965، موجز تاريخ نيجيريا، قاموس صغير يلقي الضوء على تاريخ هذه البلاد قديمه وحديثه، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط): 37).

والممرات والطرق التجارية الكبرى التي تخترق القارة من الشمال إلى الوسط، ومن الغرب إلى الشرق، ويسيطرون بالتالي على حركة مبادلات ومقايضات تجارية عالمية، وعرف الناس أن بعض المماليك والإمبراطوريات القديمة، كانت تمتلك أقوى الجيوش المحارية في التاريخ الذي كان يعاصر زمانهاوأن جيش إحدى هذه الإمبراطوريات كان تعداده يتجاوز مئتي ألف محارب من قادة وفرسان وضباط وجنود"؛[1]

أولا: التعريف بإمبراطورية الجنوب، من حيث الموقع الجغرافي والتسمية والامتداد التاريخي:

تسمى Fombina بفُلْفُلْدي بمعنى الجنوب، ولعل سبب تسميتها بهذا الاسم لكونها تقع جنوب إمبراطورية سُكُّتُو الكبيرة التي انبثقت منها إمبراطورية الجنوب، وتسمى كذلك بإمبراطورية أدماوا Adamawa، نسبة إلى مؤسسها مودب آدم،[2] وتأسست هتان الإمبراطوريتان على أيدي شعب فُلْبِي، الأولبقيادة الشيخ عثمان بن فودي[3]، وأخيه عبد

---

[1]- جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط:1، 1984: 9؛

[2]- هو آدم بن أرطو حسن، (1786-1847م)، بقرية وورو تشكِّ Wuro Chekke، بإمارة بورنو، تلقى التربية الدينية وتعليمه على يد والده وعلماء عصره في منطقته، وأعطي الراية الخضراء من قبل الشيخ عثمان بن فوديو، معلنا تنصيبه أميرا للجهاد في منطقته بهضبة بنوي، وقام بعدة فتوحات حتى أسس إمبراطورية الجنوب متخذا مدينة رباطو عاصمة لها في عام 1838، وبعد سنة نقل العاصمة إلى مدينة جبوليوو Joboliwo، أي في عام 1839، ثم إلى مدينة يولا الحالية عام 1841م، وتوفي عام 1847م، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنات فردوسه الأعلى؛ (https://fr.wikipedia.org/wiki/Modibbo_Adama)، تاركا إرثا ثقيلا، ومخلفا ورائه إمبراطورية كبيرة مترامية الأطراف، تضم عدة دول وإمارات إسلامية، وعن علاقته بالشيخ عثمان يروي لنا العالم إلدريغ محمد قائلا: أن الشيخ عثمان بن فودي لما أعلن الجهاد في بلاد هوسا، وطلب من المناطق التي كانت تحت نفوذ شعب فُلْبِي، بأن تفعل مثل ما فعل، وكان مودب آدم موجودا في قرية غيري، يعلم الناس القرآن والعلوم الدينية، ولما وصل خبر إعلان الشيخ عثمان الجهاد وطلبه الناس باللحاق به في ذلك، جمع أرطو حمن فيي الناس للتشاور، ولاختيار أحد أبناء المدينة للحاق بالشيخ عثمان لتمثيلهم، وبعد المشاورة وقع الاختيار على شخصية مودب آدم، فذهب والتحق بالشيخ عثمان، فأعطاه راية الجهاد فعاد إلى منطقة وقام بقيادة الجيوش وفتح المناطق حتى وصلت فتوحاته الكاميرون، وتشاد، وطلب مودب آدم من كل الإمارات أن ترسل من تختاره لينصب أميرا عليها ويكون هو المعترف به من قبل الإمبراطورية، وإلى جانب الجهاد، والإدارة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للإمبراطورية، فلم يترك مودب آدم مهمة التدريس والتعليم والتوجيه والإرشاد والدعوة، فكان له تلاميذ عينوا ونصبوا على إمارات في الكاميرون وتشاد ونيجيريا؛ (Eldridgue Mohammadou, Peuples et Royaumes du Foumbina, institute for the study of Languages and cultures of asia and africa (ILCAA), 1983 :15)

3- ونسبه من جهة أبيه، هو: عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد (الملقب غورط)، بن جب بن محمد بن ثب بن أيوب بن ماسران بن أيوب بابا بن موسى جغل، ونسبه من جهة أمه، فهو ابن حواء بنت محمد بن عثمان بن حم بن عال بن جب بن محمد، ويلقب الشيخ ابن فودي، ويلاحظ أنه يلتقي نسبه من جهة أبيه وأمه في جده الخامس وهو جب بن محمد، وفي تاريخ ولادته آراء متضاربة، منها أنه ولد يوم الأحد 29 من شهر صفر 1168هـ الموافق لـ 17 من شهر نوفمبر 1754م، بقرية مارثا بأرض جالمي التابعة لإمارة جوبير بولاية سكتو شمال جمهورية نيجيريا حاليا. (هداجي، محمد، 2020-2021، العائلة الفودية ودورها الإصلاحي في السودان الأوسط خلال القرن 13هـ 19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية،

الله بن فودي،[1] وابنه محمد بلُّو،[2] والإمبراطورية الثانيةأوكل الشيخ عثمان أمر إدارتها بعد فتحها وإنشائها لتلميذه مودب آدم؛

وفي دور فُلْبِي في تأسيس الدول والإمارات يقول أحد الباحثين: "تعتبر قبيلة فُلْبِيمن أنشط قبائل العالم الإسلامي سياسيا، ويرجع ذلك إلى تكوينهم الجهادي، بدء بفتح إفريقيا الإسلامي... لذلك ترى تأثيرهم في كل دولة وكل ثورة ظهرت في المناطق التي يعيشون فيها، فقد أنشأوا دولا إسلامية عديدة، كما ساهموا في إنشاء العديد منها، ابتداء من فوتا تورو وانتهاء بالسودان والحبشة"؛[3]

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر قام الشيخ عثمان بتأسيس إمبراطورية سُكُّتُو[4] التي غطت أجزاء واسعة من السودانالأوسط، وبحكم اتساع رقعتها، وصعوبة إدارتها وهي في حالها، قسمها الشيخ عثمان إلى أجزاء، يقول رجب محمد عبد الحليم في كتابه تاريخ المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء: "وفي عام 1812م اقتصر دور الشيخ (عثمان بن فودي) على التأليف والوعظ والإرشاد، بعد أن قسم الإمبراطورية إلى قسمين: قسم شرقي تحت إشراف ابنه محمد بلُّو، والآخر غربي تحت إشراف أخيه عبد الله بن فودي"،[5] وبقي

أدرار، الجزائر، السنة الجامعية:55-56)، و(الإلوري، آدم عبد الله، 2013، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو...تقديم عبد الحفيظ أولادسو، دار الكتاب المصري، القاهرة، مكتبة الإسكندرية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط): 134، 92)؛ وكان وفاة الشيخ سنة 1817م. (حركة عثمان دان فوديو بغرب إفريقيا، 1775-1817، 2024، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، مجلد 33، عدد63، أبريل: 186)، والجدير بالتنبيه أن المتصفح لتاريخ ولادة أو وفاة الشيخ يصطدم بآراء وروايات متضاربة، ولذا نكتفي بما ذكر؛

1- هو الأخ الأصغر لعثمان بن فودي، مواليد سنة 1180هـ الموافق 1766م، بقرية طغل حي التوردب بمنطقة غوبر، وهو يصغر أخاه عثمان باثنتي عشر سنة؛ وتوفي 1245هـ الموافق 1829م؛ (العائلة الفودية، المصدر السابق:90، 108)

2- هو محمد بلُّو بن الشيخ عثمان بن فودي؛ مواليد سنة 1195هـ الموافق لـ 1780م؛ (العائلة الفودية، المصدر السابق: 109)؛

3- الفلاتي، الطيب عبد الرحيم محمد، 1994، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، دولة الكويت، ط:1: 32؛

4- تكتب بالصاد وبالسين، ولعل كتابتها بالسين أحسن، لعدم وجود صوت الصاد في أكثر اللغات الإفريقية، وعلى كل حال هناك عدة طرق لكتابتها، منها: طريقة صوكوتو، بصاد والكاف والتاء المضمومةالمشبعةبالواو، وطريقة سوكوتو، بالسينوالكافوالتاءالمضمومة المشبعة بالواو، وطريقة سكتو، بالصاد المضمومة، والكاف المضعفة المضمومة، والتاء المضمومة المشبعة، وطريقة سكتو، بالسينالمضمومة،والكافالمضعفةالمضمومة،والتاءالمضمومةالمشبعة، واختار آدم عبد الإلوري الطريقة الثانية، حيث قال: "سوكوتو، هي: مدينة الشيخ عثمان، ومقر حكومته، اتخذها موطنا له بعد هجرته من بلاد غوبر، ولازمها حتى أيامه الأخيرة، وظلت قاعدة حكومته السياسية حتى الاحتلال البريطاني، حيث أنشأوا القاعدة الحاضرة في كدونا، فصارت سوكوتو مقاطعة من جملة المقاطعات الشمالية"؛ (الإلوري، آدم عبد اله، موجز تاريخ نيجيريا، مصدر سابق: 76)، ويختار الباحث الطريقة الأخيرة "سُكُّتُو، لعدم وجود صوت الصاد في فُلْفُلْدِي من جهة، ومن جهة ثانية لعدم الحاجة إل إشباع الضمات، ثم إن هذا الإشباع قد يؤدي إلى اللبس، هل الأصوات ممدودة أم لا؟ فيوحي إلى وجود مد الضمات، مع أن تلك الضمات تكفي لنطق تلك الأصوات نطقا صحيحا سليما؛

5- رجب محمد عبد الحليم، تاريخ المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء، مصدر سابق: 37؛

الجزء الجنوبي ليكون من نصيب أحد قادته العسكريين الأوفياء وتلاميذه البارزين المتمثل في الشيخ مودب آدم على رأس إمبراطورية عرفت بإمبراطورية الجنوب، أو إمبراطورية أدماوا؛

وأستسمح القراء والباحثين على تسميتها بإمبراطورية، ولست بدعا من الأمر، فقد فعله غيري من قبل، ويعود ذلك لعدة أسباب، منها، أن مفهوم إمبراطورية ودلالته السياسية ينطبقان تمام الانطباق على هذه البقعة الجغرافية والقطعة السياسية، فمصطلح الإمْبِرَاطُوريّةباللاتينيةImperium ، والإمبراطور: "لقب يطلقه الرومانيون على قوادهم عقب انتصارهم على أعدائهم، ثم لما زالت الجمهورية الرومانية وخلفتها الملوكية، لم يشأ أول المتغلبين على الملك وهو سيراز أن يلقب نفسه بملك حتى لا يفجأ الرومانيين بمثل هذا الانقلاب الكبير، فلقب نفسه بإمبراطور، فصار هذا اللقب علما على ملوك الرومان من ذلك الحين"؛[1]

ثم "جرت العادة أن يعطى هذا اللقب لكل من يحكم مملكة واسعة مأهولة بأقوام مختلفي الأجناس والأديان واللغات"،[2] وتعني كلمة إمبراطور في الأصل: السلطة أو القوة، وسياسياً، الإمبراطورية هي مجموعة كبيرة من الدول والأقاليم والشعوب التي وُحِّدت وحُكِمت من قبل عاهل (إمبراطور)، وهي أكبر من المملكة، حيث يخضع تحتها ممالك عدة، فالجنوب إمبراطورية وفقا لهذا المفهوم، وذلكلعدة أمور:

الأمر الأول: اتساع رقعتها الجغرافية، فهي تغطي مساحة شاسعة في نيجيريا،[3] حيث تضم عددا من الولايات الواقعة في الشمال الشرقي فيها، كما تغطي مساحة واسعة في الكاميرون، حيث تضم كل الأقاليم الشمالية والغربية والشرقية في هذا البلد، وتغطي أجزاء واسعة في دولة تشاد، فالمناطق الغربية الجنوبية كانت خاضعة للإمبراطورية، كما تضم مناطق في الشمال الغربي لجمهورية إفريقيا الوسطى، فتمتد شمالا حتى الحدود مع مملكة كانم برنو، وتغطيشرقا حتى الحدود مع السودان مرورا بالكاميرون وتشادوإفريقيا الوسطى؛

والجدير بالتنبيه أنه ثبت تاريخيا وعلميا متواترا ومن الناحية السياسية والإدارية أن حدود الإمبراطورية كانت تغطي أجزاء واسعة من جمهورية الكاميرون، وجمهورية إفريقيا

1- وجدي، محمد فريد، 1971، دائرة معارف القرن الرابع عشر –العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3: 566/1؛

2- وجدي، محمد فريد، دائرةمعارفالقرنالرابععشر، المصدر السابق: 566/1-567؛

3- أصل كلمة نيجيريا، من نيجر، وأصل هذه الأخيرة من نيغرو negro بمعنى الزنج القصير، أو السود، ثم حرفت إلى نيجر ثم نيجيريا، وهناك نهر يسمى نهر نيجر أي نهر نيغرو أو نهر الزنوج، وهو نهر ينبع من غرب إفريقيا ثم ينحدر حتى يصل إلى نيجيريا ويلتحق به نهر بنوي الذي هو الآخر ينبع من أعالي جبال وهضبة أدماوا في وسط الكاميرون، يقول آدم عبد الله الإلوري: "نيجيريا: معناه ما حول النيجر، وهو اسم مستمد من نيغرو أي الزنجي الأسود، ثم أطلقوه على النهر المنسوب إلى الزنج، وسموه نهر نيغرو أي نيل الزنج أو نيل السودان، فأخذت البلاد اسمها من ذلك، وأول من أطلق اسم نيجيريا على هذه البلاد هم الإسبان، وتبعهم سائر الإفرنج ، ويظهر أن الإفرنج والعرب اتفقوا بالمصادفة على تسمية هذه البلاد بما يدل على الأسود، وإن كانت ألفاظهم ولغاتهم مختلفة"؛ (الإلوري، آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، مصدر سابق: 21)؛

الوسطى وجمهورية تشاد، حيث أن هناك عددا من الإمارات الكبيرة كانت تابعة للإمبراطورية؛

ففي مقالتنا المنشورة في مجلة العربية والترجمة، وعند استعراضنا للممالك الإسلامية التي أسهمت في إدخال اللغة العربية والتربية الإسلامية ونشرهما وتطويرهما في الكاميرون، ذكرنا إمبراطورية أدماوا، وكنا نقصد إمبراطورية الجنوب هذه، حيث إن "هذه الإمبراطورية أسسها شعب فُلْبِيالذي بدأ انتشاره من غرب إفريقيا متجها جنوبا وشرقا، وشقطريقه حتى وصل بلاد هوسا ووسط أفريقيا في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، وقد حمل هذا الشعب على عاتقه مهمة نشر الدين الإسلامي الحنيف، حتى صار دوره لا يقل أهمية عن دور الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا، ثم أسس إمبراطوريتين كبيرتين مترامييتي الأطراف، فالأولى إمبراطورية سُكُّتُو التي قامت في الشمال الغربي لجمهورية نيجيريا حيث الحدود مع جمهورية نيجر، واتخذت من مدينة سُكُّتُو عاصمة لها، أسسها الشيخ عثمان (1168هـ/1754م-1232ه/-1816م)[1]... الثانية إمبراطورية أدماوا، نسبة إلى مؤسسها مودب آدم (تـ1848م)، وهو أحد قادة جيوش المجاهد الشيخ عثمان بن فوديو، وتتخذ الإمبراطورية مدينة يولا عاصمة لها، وتمتد مغطية أجزاء كبيرة وواسعة من شمالي جمهورية الكاميرون، والجنوب الغربي لجمهورية تشاد، وغربي جمهورية إفريقيا الوسطى، إضافة الشمال الشرقي لجمهورية نيجيريا الفيدرالية"؛[2]

الأمر الثاني: تعدد الأجناس والأعراق والإثنيات فيها، وذلك بسبب اتساع رقعتها الجغرافية، فكم الأعراق والأجناس والإثنيات التي تنضوي تحت لواء هذه الإمبراطورية؟ طبعا إذا أخذنا نقارنها بغيرها،فسنجدها تحتل المرتبة الأولى من حيث تعدد الأعراق والأجناس والإثنيات وتنوعها، وفي هذا الصدد يقول العالم النيجيري آدم عبد الله إلوري في كتابه: " وتتعدد قبائل نيجيريا إلى نحو مئتي قبيلة، يتكلمون بمختلف اللغات واللهجات، ويختلفون فيما بينهم في الهيئات والعادات"[3]؛

الأمر الثالث: تبعا لما سبق تعددت اللغات والثقافات فيها، تجد في هذه الإمبراطورية عددا كبيرا من الأسر اللغوية، والثقافات والديانات بين السماوية والوثنية والمحلية؛

الأمر الرابع: العامل السياسي: تنضوي تحت هذه الإمبراطورية عدد من الدول والشعوب التي وجدت تحت حكمها السياسي وسيطرتها الإدارية، فلنأخذ مثلا الممالك والإمارات التي كانت خاضعة لحكم الإمبراطورية في الكاميرون، فسنجد كلا من:

أولا: إمارة بانيو Banyo كانت تابعة لإمبراطورية الجنوب، وحدود هذه الإمارة وصلت إلى مدينة دوالاDouala بإقليم الساحل وهي العاصمة الاقتصادية للكاميرون الحالي،

1- أحمد محمد، 2008-2009، أثر الإسلام الثقافي والحضاري في وسط إفريقيا، الكاميرون نموذجا، أطروحة الماجستير، كلية الدعوة الإسلامية شعبة الدعوة والحضارة، طرابلس، ليبيا: 119؛

2- سعيد علي وجمال بلبكاي، 2015، اللغة العربية في الكاميرون بين الواقع والمأمول، وسائل الانتشار ودور المؤسسات، مجلة العربية والترجمة، إصدار المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، السنة السادسة، العدد:20، شتاء: 134، 136؛

3- الإلوري، آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، مصدر سابق: 25؛

بمعنى أنه من الناحية الإدارية والإسلامية فأمير المسلمين والمسؤول عن إدارة شئون المسلمين في مدينة دوالا يعينه أمير بانيو؛

ثانيا: إمارة تباتي Tibatiكانت تابعة للإمبراطورية، وكانت حدود هذه الإمارة قد وصلت إلى مدينة ياوندي Yaoundéبإقليم الوسط، وهي العاصمة السياسية للكاميرون، وكان أمير المسلمين في هذه المدينة تابعا لإمارة تباتي؛

ثالثا: إمارة نغاوندري Ngaoundere كانت تابعة للإمبراطورية، وكانت حدود هذه الإمارة تصل إلى مدينة برتوا Bertoaبإقليم شرق البلاد المجاور لجمهورية إفريقيا الوسطى، وقد تجاوزت حدود إمارة نغاوندري لتشمل أجزاء كبيرة داحل إفريقيا الوسطى حتى تصل إلى مناطق قريبة من مدينة بانغي Bangui العاصمة السياسية لهذه الدولة؛

رابعا: إمارة ري بوب RayBouba، كانت تابعة للإمبراطورية، وكانت هذه الإمارة تغطي أجزاء واسعة من جمهورية إفريقيا الوسطى، وأقصى الجنوب والجنوب الغربي لجمهورية تشاد؛

خامسا: إمارة بندر Bindirالواقعة في الجنوب الغربي لجمهورية تشاد، كانت تابعة للإمبراطورية، وكانت سيطرتها تأخذ أجزاء واسعة داخل جمهورية تشاد من الناحية الجنوبية؛

وكل الإمارات الكبرى في شمال الكاميرون أمثال إمارة غاروا، وماروا، وكالفو، وبيبيمي، ومنديف، وبيتِّي، وغالم، إضافة إلى سلطنة بامون وغيرها كانت تابعة للإمبراطورية؛

الأمر الخامس: العامل الاقتصادي: نتيجة لاتساع رقعتها الجغرافية تولد منه تنوع مصادر الثروة الاقتصادية، من الأراضي الزراعية الخصبة، وتربية المواشي والحيوانات، والمعادن الثمينة، والصيد البحري وغير ذلك إلى جانب الأيادي العاملة الشابة النشطة.

كانت إمبراطورية الجنوب امتداد لإمبراطورية سُكُّتُو، وهي منبثقة من هذه، التي كانت تحكم المنطقة بأسرها، وقد شهدت تقدما علميا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا ودينيا واجتماعيا، وعرفت "نهضة حضارية في شتى المجالات بسبب الأمن والاستقرار وعدالة التسيير المستمد من الشريعة الإسلامية، حتى أصبح يطلق عليها الخلافة الإسلامية، ولقب الحاكم بأمير المؤمنين، واتخذت من مدينة سُكُّتُو عاصمة لها، وقسمت البلاد إلى عشرين ولاية، وكل مقاطعة قسمت إلى قرى، ويحكم هذا التنظيم مجموعة من العمال تحت إشراف الأمير الذي كان يلقب بالأمير الكبير، بينما كان حاكم المدينة كان يدعى الأمير الصغير، على أن بعض الأقاليم كانت تمتاز بالاستقلال الذاتي في التسيير"،[1] وكانت إمبراطورية الجنوب من تلك الأقاليم التي حظيت بالاستقلال الذاتي في فتراتها الأخيرة؛

ثانيا: إمارات ولاية أدماوا الكاميرونية: أخذت اسمها من اسم إمبراطورية أدماوا الكبرى التي هي إمبراطورية الجنوب، وقد سبق أن قلنا إن هذه الإمبراطورية تعرف بتسميتين، الجنوب نسبة لموقعها بالنسبة لإمبراطورية الأم، ومملكة أو إمبراطورية أدماوا، نسبة إلى مؤسسها وأول أميرها، وهو مودب آدم بن مالم حسن؛

[1]- هداجي، محمد، العائلة الفودية، مصدر سابق: 136؛

ولاية أدماوا الكاميرونيةهي إحدى الولايات العشرة التي تضمها دولة الكاميرون، واحتفظت باسم أدماوا نسبة إلى مودب آدم، حيث كانت هذه المناطق التي تضمها ولاية أدماوا تابعة لإمبراطورية أدماوا الكبرى، بل هذه الإمارة تعد من أكبر الإمارات التابعة للإمبراطورية، وتغطي مساحة كبيرة في عمق الكاميرون، حيث تتبعهاولايات الشرق، والوسط، والساحل والغرب من الكاميرون، وتضم عدة محافظات، كل محافظة على رأس عاصمتها أمير تقليدي إلى جانب محافظ المحافظة وهو المسؤول الإداري الحكومي التابع للإدارة المركزية بالعاصمة ويسمى بـ Préfecture، وتحت المحافظ نوابه، فهناكمحافظة فينا Vina، وعاصمتها مدينة نغاوندري، ومن تلكالمحافظات محافظة مايو بانيوMayo-Banyo، عاصمتها مدينة بانيو، ومحافظة نجريمDjerem عاصمتها تباتي، ومحافظة فارو وأديو Faro-et-Deoعاصمتها تيغير، ومحافظة مبريMbéréعاصمتها مايغنغا، وعلى رأس كل عواصم المحافظات المذكورة أمير يسمى لاميطوLamido وهو المسؤول التقليدي الديني على الإمارة، وله حواش وملأ يسمونهم فادFada، ويتكونون من قاضي الإمارة(الكالي)، والإمام للجامع الأميري، ومسؤولين آخرين يشرفون ويتابعون قطاعات الحياة المختلفة؛

تقع ولاية أدماوا في وسط البلاد، حيث يحدها من الشرق والشمال الشرقي إمارة ري بوب بمحافظة ري بوب ولاية الشمال، وفي الشمال محافظة بنوي بولاية الشمال، وفي الغرب كل من ولايتي أدماوا وتربا النيجيريتين، ومن الجنوب ولاية الوسط حيث العاصمة ياوندي، ومن الجنوب الشرقي ولاية الشرق وجمهورية إفريقيا الوسطى، ومن الجنوب الغربي ولاية الغرب الكاميرونية؛

المحور الثاني: التعريف بالمؤسسات التقليدية والمدرسة التقليدية العربية:

أولا: مفهوم المؤسسات التعليميةأو المدرسة التقليدية:

المؤسسات التقليدية أو المدرسة التقليدية، يقصد بها الدهاليز أو الكتاتيب أو الخلاوي القرآنية، وهي: "عبارة عن حلقات تعليمية- تكون في مدخل بيوت العلماء، يستقبلون طلاب العلم لتعليمهم علوما شتى، لغوية وأدبية، دينية وأخلاقية"،[1]قد أدت المؤسسات التعليمية عدة أدوار، منها: نشر الإسلام وترسيخ دعائمه، وتربية الأجيال،وتكوين الأطر والكوادر، وتأهيل النخب الإدارية والسياسية والاقتصادية والثقافية، "وبناء صرح الحضارة الإسلامية بالمنطقة، فسعى العلماء بكل ما أتيح لهم من وسائل وإمكانيات لنشر العلوم والمعارف المختلفة، وترجمة الكتب ونسخها، والإكثار من حلقات العلوم الدينية وتحفيظ القرآن والذكر والتوجيه الديني لمختلف شرائح المجتمع، وبالتالي فقد تنوعت المؤسسات التعليمية، فمنها ما تم تخصيصه لعلوم القرآن والحديث، والأخرى للعلوم الفقهية، وأخرى للقضاء، بالإضافة إلى مراكز لتحفيظ القرآن الكريم للصغار (الكتاتيب)"؛[2]

[1]- سعيد علي، 2023، الأدب الإفريقي المكتوب باللغة العربية في الكاميرون، الواقع والآفاق، دراسة تاريخية بلاغية، الكتاب الجماعي الأدب الإفريقي جنوب الصحراء المكتوب بالعربية، قضايا النوع وجماليات المرجع، إشراف شعيب حليفي، منشورات مختبر السرديات، الدار البيضاء، ط1: 153؛

2- هداجي، محمد، العائلةالفودية، مصدر سابق: 43؛

وأولى المؤسسات التعليمية هي تلك المدارس التقليدية التي تعرف باسم الخلاوي والحلقات القرآنية والكتاتيب أو الدهاليز، "هذا النمط من التعليم هو الذي وجده المستعمر عندما حل في هذه البقعة من العالم... وقد قام بدور فاعل في عملية الانسجام الاجتماعي والتماسك الثقافي، ونشر القيم الإسلامية والحفاظ عليها"؛[1]

وهذه المدرسة لها مستويات وتمر بعدة مراحل: مرحلة تعليم مهارتي القراءة والكتابة، هي بمثابة المرحلة الابتدائية، ويدخل فيها التلميذ في سن مبكرة بعد تمام الخامسة وبداية السادسة من عمره، ويتعلم فيها الحروف الهجائية العربية منفصلة وغير مشكلة ثم منفصلة ومشكلة، ثم مركبة في كلمات، وبعد إتقان هذه الحروف والتمييز بينها، يبدأ بممارسة الكتابة، ينطلق من السور القصار سورة الفاتحة ثم سورالناس والفلق والإخلاص حتى يصل إلى سورة الفيل، ثم يعود مرة أخرى، حتى يتمكن من قراءة القرآن في أي جزء فتح بدون مواجهة صعوبات كثيرة؛

وبعد إتمام وإتقان تلاوة القرآن نظرا، يبدأ بدراسة الكتب الفقهية المالكية أولا، ابتداء بكتاب قواعد الصلاة، وكتاب الأخضري، وكتاب القرطبي، وكتاب العشماوي، وكتاب العزية، وكتاب رسالة بن أبي زيد القيرواني، فأصول الفقه، وهكذا ثم الكتب الأدبية واللغوية ثانيا، فكتب التفسير وأصوله، والحديث ومصطلحه، وكتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ...

وتكون هذه الحلقات في "المساجد والجوامع التي كانت بمثابة إشعاع علمي ديني ثقافي اجتماعي ... وكان يؤمه الكبار والصغار، إذ إن المساجد كان لها عدة أدوار أساسية إلى جانب أداء العبادات، وكانت بمثابة مدرسة للفقه، ومحكمة لإقامة حدود الله ..."؛[2]

وعن منافذ دخول الإسلام في منطقة السودان الأوسط يقول آدم عبد الله الألوري: "لقد انبثق فجر الإسلام على سماء نيجيريا في أواخر القرن الأول الهجري الذي فتح فيه المسلمون العرب شمال إفريقيا، وجزءًمن غربها، وقد اندفع تيار الإسلام إلى نيجيريا من منبعين: أولهما: من مصر عبر السودان العربي وبلاد فور وباغرمي وبرنو، وثانيهما: من شمال إفريقيا إلى جنوب الصحراء حتى وصل إلى المناطق الغابية والساحلية"؛[3]

ثانيا: مستويات المؤسسات التعليمية التقليدية (المدرسة التقليدية):

المؤسسات التعليمية التقليدية أو المدرسة التقليدية لها ثلاث مستويات، وهي كالتالي:

المستوى الأول: المستوى الابتدائي أو المرحلة الابتدائية، وتعرف بـ "المدارس القرآنية écoles coraniques)، كما يسميها المستعمرون الفرنسيون في شمال الكاميرون، وتقوم هذه المدارس القرآنية بتكوين تلاميذها فكريا وعلميا... وقد قامت هذه المدارس القرآنية بدور كبير في تعليم الكتابة والقراءة بالحروف العربية.ومنها تعلم معظم سكان مدينة ماروا،القراءة والكتابة والمكاتبات والمراسلات فيما بين شعوبها وقبائلها المختلفة... ففي المستوى الأول يتعلم التلاميذ قراءة القرآن الكريم وكتابته كاملادون فهمه ولا

1- محمد سعودي، 2015، تعليم اللغة العربية في الكاميرون، الكتاب الجماعي Kaliao، المدرسة العليا لإعداد المعلمين، جامعة ماروا، العدد :4: 164؛

2- هداجي، محمد، العائلة الفودية، مصدر سابق: 43-44؛

3- الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، مصدر سابق: 37؛

حفظه،وإن كان هناك حفظ فهو خاص بالسور القصيرة التي يقرؤنها أثناء الصلوات المفروضة، وحفظ القرآن بكامله ليس من الأولويات لدى مجتمع فُلْبِي، بخلاف ما هو في المجتمع البرناوي في شمال نيجيريا، فحفظ القرآن عندهم من الأولويات"[1]:

خصائص هذه المستوى: تتميز المرحلة الابتدائية هذه أو المستوى الأول بعدة خصائص، منها ما يلي:

الخاصية الأولى: عمر الالتحاق بالمرحلة الابتدائية: يلتحق بها التلميذ عندما يبلغ الخامسة من عمره ويدخل في السن السادسة، ويكون التلميذ وقتئذ قادرا على العد من واحد إلى عشرة، أو يكون قادرا من لمس أذنه الواحدة بيده الأخرى، أذنه اليمنى بيده اليسرى، وأذنه اليسرى بيده اليمنى، ويستمر في هذه المرحلة سنة أو سنتين؛[2]

الخاصية الثانية: نظام الدراسة في هذه المرحلة: الدراسة تكون في الأوقات التالية: صباحا بعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الشمس قيد رمح، وبعد صلاة الظهر حتى صلاة العصر، وبعد المغرب حتى صلاة العشاء ثم بعد العشاء حتى ثلث الليل الأول، ويكون ذلك في خمسة أيام ونصف من الأسبوع، من ظهر يوم الجمعة إلى ظهر يوم الأربعاء، والإجازة تكون يوم الخميس وجزء من الجمعة؛

الخاصية الثالثة: منهج الدراسة في هذه المرحلة: تركز الدراسة في هذه المرحلة على تعليم التلاميذ مهارتي القراءة والكتابة، حيث يتعلمون الحروف الهجائية العربية وذلك على النحو التالي:

أولا: مرحلة تلقين التلاميذ الحروف الهجائيةمفردة ومجردة من التشكيل، وتسمى بِفُلْفُلْدِي بـ (بليري ɓaleeri)، يكتب للتلميذ الآيات القرآنية من سورة الفاتحة فالناس ويترقي إلى أن يصل إلى سورة الفيل، ولتعليم هذه الحروف طريقة خاصة لكل قبيلة، خاصة قبيلة فُلْبِيوالكانوري والهوسا، فمثلا طريقة تعليم الحروف الهجائية لدى قبيلة فُلْبِيتكون على النحو التالي:

تعليم حروف بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، هكذا: بِ (بكسرة ممالة)، be، سِينِ، مِيمَرَّ، أَلِفِ، لَمْ لَامُ هَسَكِيرِي، (كسرة ممالة على الكاف) أَلِيفِ لَامُ أَرّ، (كسرة ممالة على الراء) حَابَالُولْ، مِيمِ، أَلِيفِبُوطِيوُلْbod'eewol،نُونَرَّ،أَلِيفِ لَامُ أَرّ، (كسرة ممالة على الراء)،حَابَالُولْ، يَا، مِيمَرَّ، وهكذا حتى ينهي التلميذ من سورة الفاتحة إلى سورة الفيل؛

ثانيا: مرحلة تلقين التلاميذ الحروف الهجائية والأبجدية العربية مفردة ومشكلة، وتعرف بـ (بورتي porte)، يستأنف التلميذ باصطحاب وإشراف المعلم، من البسملة كما بدأ في المرحلة السابقة، ويستمر تلقي الحروف الهجائية المشكلة حتى ينهي سورة الفيل؛

1-بِلُّو مانا، 2018، رحلة اللغة العربية من المغرب العربي إلى دولة الكاميرون قبل الاستقلال، مدينة ماروا نموذجا، الكتاب الجماعي، أحمد سردونا، اللغة العربية لغة التواصل والثقافة حول بحيرة تشاد، الحكمة، ياوندي، ط1: 85؛

2- أحمد محمد، أثر الإسلام الثقافي والحضاري، مصدر سابق: 209؛

ثالثا: مرحلة التدريب على مهارة الكتابة، وتعرف بـ (فيتوfito)، مأخوذة من الكلمة العربية الفتوى، ويقصد بها تدريب التلميذ على مهارة الكتابة، حيث قد سبق أن تَعَرَّف على الحروف الهجائية كاملة بكل صورها وأشكالها، في أوائل الكلمات، ووسطها وأواخرها ومنفصلة ومتصلة وفي السطر، وكذلك مشكلة بالفتحة، والكسرة والضمة، والشدة، والتنوين والمد والسكون، ويكون جاهزا لتولي كتابة دروسه بنفسه، ولكن عليه أن يلقن ذلك من قبل المعلم، وهذا ما يسمى بـفيتو، يكتب درسه على اللوح المصنوع من الخشب أو من الآلة النحاسية، ويكرر قراءته عدة مرات، وأحيانا عدة أيام، ثم يغسل اللوح ويكتب الدرس اللاحق من جديد، وهكذا حتى ينهي السورة، ثم ينتقل إلى السورة التالية وهكذا إلى نهاية القرآن الكريم مبتدئا من السور القصار الفاتحة ثم الناس ويترقى؛

رابعا: مرحلة فيروا Feero، فيهذه المرحلة يكون التلميذ قد أتقن القراءة والكتابة، ويكون قادرا على قراءة أي مكانمن المصحف يفتتحه، ويقوم التلميذ بكتابة دروسه على لوحة تكون أكبر من اللوحة التي كان يكتب له أو يكتب هو درسه فيها في المراحل الثلاثةالسابقة، بحيث يمكنه أن يكتب ثمن الحزب أو ربعه مرة واحدة وكتابة على وجه اللوحة، وقد يكتب صباحا ومساء وليلا بحكم أنه أتقن كل شيء،وهكذا حتى يكملالقرآن كاملا، ويتوقف عند قوله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ...﴾، إلى آخر السورة، وهذا الجزء يُترك لحفلة اختتام القرآن، ويعرف بـ تومبردوtummbirdu، بعد هذه المرحلة يكون التلميذ جاهزا للالتحاق بالمرحلة اللاحقة وهي المستوى الثاني، وهي مرحلة دراسة الكتب؛

يقول بِلُّو مانا: "وفي نهاية قراءة القرآن الكريم وكتابته بالكامل ينظم أولياء أمور التلاميذ وآباؤهم حفلات كبيرة تسمى بـ "تومبردوtumbirdu"، ويدعون فيها المشايخ والآباء، ويقوم المعلم بإقراء التلميذ أواخر من سورة البقرة أمام الملإ، وفي نهاية القراءة يضعون العمامة على رأس التلميذ، وتعتبر حفلة "تومبردوtumbirdu" بمثابة الحصول على الشهادة الابتدائية"؛[1]

الخاصية الرابعة: أدوات الدراسةفي هذه المرحلة: تستعمل عدة أدوات تعليمية، وهي أدوات بدائية تقليدية، ولكنها انطلاقة للأدوات الحديثة وامتداد لها،وهي تتمثل في الآتي:

الأداة الأولى: اللوح: ويصنع في الغالب من الخشب أو النحاس والزنك الحديدي، ويكون مربع الشكل، متفاوت الحجم والعرض والطول، حسب مستوى الدارسين، يكون بحجم صغير لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، وكلما تقدم التلميذ في العمر قليلا، صنعوا له ما يناسب هذا العمر في الطول والعرض والكبر، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأداة هي أصل ما يستعمل الآن في المدارس النظامية الحديثة، والتي يسمونها بالسبورة، فهذه امتداد لتلك التي ورثناها من الأجداد، فلهم الفضل في الأسبقية؛

[1]- بِلُّو مانا، رحلة اللغة العربية من المغرب العربي إلى الكاميرون، المصدر السابق: 87؛

الأداة الثانية: المداد: وهي مادة مائية سائلة ممزوجة بعدة أشياء، تصنع أساسا من طحين فحم الخطب النباتي الطبيعي الخاص، ويضاف إلى هذا الطحين ودقيق الفحم الصمغ الخشبي، ثم يخلط بالماء ويغلى على النار حتى يتماسك جيدا، ويكون صالحا للاستعمال؛

الأداة الثالثة: القلم: يتخذ من عود الدخن الذي يزرع في مواسم الأمطار وغيره، ينحت في رأسه ويشق بعد النحت بطريقة عجيبة خاصة حتى يكون صالحا للكتابة به، وهو أصل القلم الذي اخترع في العصر الحديث؛

الأداة الرابعة: الدواة: وهو عبارة عن علبة وإناء صغير أو قارورة صغيرة، توضع فيها المداد والحبر الذي يكتب به على اللوح مع القلم؛

وهذه الأدوات مع بساطتها فقد تعلم منها العلماء وانطلقوا منها ليبنوا اختراعاتهم، وهي التي طوروها في شكل السبورات وأشكال الأقلام والمواد الكتابية الأخرى؛

الخاصية الخامسة: القراءة الجماعية: حيث إن "الصبيان في المستوى الأول يقرأون قراءة جماعية بصوت عال، وكل واحد منهم يقرأ ما يخصه، وعلى الرغم من اختلاط الأصوات واختلاف السور يصحح المعلم الصبي الذي قرأ آية ما خطأ، وللدربة والممارسة دور كبير في عملية التلقين في الكتاتيب، والقراءة الجماعية سمة من سمات المدارس القرآنية"؛[1]

المستوى الثاني: المرحلة المتوسطة والثانوية.وتبدأ هذه المرحلة بعد المرحلة الابتدائية التي سبق الحديث عنها، ويبدأ التلميذ فيها بدراسة الكتب الصغيرة في العلوم الدينية، كتب الفقه المالكي، أمثال: كتاب قواعد الصلاة، وكتاب الأخضري، وكتاب العشماوي، وكتاب القرطبي، وكتاب العزية، ويمكن أن يدرس بعض كتب النحو مثل النحو الواضح، والأجرومية، كل ذلك على أيدي علماء متوسطين في العلم، ويُكَوّنُ التلميذ في هذه المرحلة مستوى ورصيد لغوي قيم لا بأس به، يفهم النصوص، ويقدر على التحليل، ويتقن اللغة العربية نوعا ما، بمعنى يضيف إلى ما اكتسبه في المرحلة الأولى من مهارة القراءة والكتابة، مهارة الاستماع والتحدث والتعبير، ويكون قادرا على فهم معان الكلمات وبعض الأساليب، ويسمى التلميذ في هذه المرحلة بـ (بكراج دفتpukarrajodefte)، وهذه المرحلة قد توجد في المدن الصغيرة والمتوسطة والقرى والأرياف؛

ويعتبر "المستوى الثاني من هذه المدارس ... مستوى مكملا للمستوى الأول، فنجد فيه أن التلاميذ يتعلمون اللغة العربية والتفسير وفهم القرآن وقراءة بعض الكتب المتعلقة بالعلوم الشرعية"؛[2]

المستوى الثالث: المرحلة المتقدمة العليا، وهي بمثالة المرحلة الجامعية، يلتحق الطالب في هذه المرحلة بجهابذة العلماء وفطاحل العلم والمعرفة، والعلماء الكبار الأفذاذ في المدن الكبرى، مثل مدينة تباتي، ومدينة نغاوندري، ومدينة بانيو، ومدينة تيغير، ومدينة غالم ومدينة كونتشى، يدرس الطالب فيها بهدف التبحر في العلوم والمعارف المختلفة في الشريعة، والتفسير والحديث، والسير والتاريخ، وغيرها، يقول فيها بِلُّو مان:"كان مشايخ

[1]- بِلُّو مانا، رحلة اللغة العربية من المغرب العربي إلى الكاميرون، مصدر سابق:87؛
[2]- بِلُّو مانا، رحلة اللغة العربية من المغرب العربي إلى الكاميرون، المصدر السابق: 87؛

الطرق الصوفية يقومون بتعليم علوم القرآن وعلى وجه الخصوص علم التفسير والعلوم الشرعية والنحو والشعر والسيرة والتاريخ والعقيدة والفلسفة والفرائض وغيرها من العلوم في تلك الحلقات العلمية والزوايا"[1]

ووقت الدراسة في هاتين المرحلتين الأخيرتين يكون بعد طلوع الشمس إلى قبيل منتصف النهار، وبعد صلاة الظهر حتى صلاة العصر، وقليلا ما تكون الدراسة ليلا، وذلك من يوم السبت حتى يوم الأربعاء، والإجازة يومان كاملان، يومي الخميس والجمعة، ويكون للطالب حرية الدراسة لدى عدد من المعلمين، كما يكون له حرية اختيار الكتاب الذي يرغب دراسته والوقت الذي يدرسه عند كل معلم، بمعنى يمكن أن يختار دراسة كتاب كذا عند معلم كذا في وقت كذا، "وليس هناك عمر معين للالتحاق بهذين المستويين، ولا تحديدا معينا لعدد السنوات التي يمضي فيهما التلميذ أو الطالب في هذين المستويين، وبعض الطلبة يدرسون في هذه المدارس القرآنية طيلة حياتهم، كما أن بعضهم يبدؤون في تعلم علوم القرآن في عمر متقدم"؛[2]

وقد يهاجر الطالب في هذه المرحلة الأخيرة إلى مدينة يولا عاصمة إمبراطورية الجنوب، التي تعتبر قبلة لطلاب العلم، وبمثابة جامعة عالمية لطلبة العلم والمعارف المختلفة الفقهية والتفسيرية واللغوية والأدبية، ويعتبر من لم يحظ بشرف الدراسة فيها كأنه لم يدرس، أو دراسته ناقصة؛

ونظام التعليم في هذه المراحل الثلاثة كان قائما على التعليم التطوعي، بمعنى أن المعلم لا يتقاضى مرتبا، حيث إن التلاميذ لا يفرض عليهم رسوم دراسية محددة، وكل ما في الأمر، أن المعلم يعتمد على تبرعات المحسنين وصدقاتهم وهدايا أولاء أمور التلاميذ وهباتهم، يقول بِلُّو مانا: "ليس للمعلمين أجور يتقاضونها مقابل هذا العمل الشريف الذي يقومون به، والتعليم في هذه المدارس مجاني بدون مقابل، وعليه فإن الطالب الفقير يمكنه أن يجتاز كل مراحل المدارس القرآنية من غير أن يدفع شيئا مقابلا لتكوينه، ويقدم أحيانا إلى المدرسين بعض الصدقات العينية والنقدية أو الزكوات التي تؤخذ من أموال المسلمين على رأس السنة، وبعض أولياء أمور التلاميذ المسجلين في المدارس القرآنية يقدمون باستمرار بعض المساعدات العينية إلى هؤلاء المدرسين، وهي عبارة عن الأطعمة والملابس والدواجن والخرفان"،[3]وفلسفتهم في عدم أخذ الأجر أو المقابل المالي على هذا العمل، هو امتثال بمفهوم قوله تعالى:﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾؛[4]

إذا كان النظام السائد في المدارس الحديثة قائما على وضع برنامج تعليمي متسلسل حسب المراحل الدراسية وحسب أعمار الدارسين ومستوياتهم المعرفية، ويجمع الدارسون الذين هم في مستوى تعليم واحد وفي أعمار متقاربة في فصل دراسي، يتناوب المدرسون في تقديم الدروس لهم، فإن نظام التعليم في المدارس التقليدية تفتقد إلى برنامج موحد، ولا يراعى فيها جمع الدارسين حسب الأعمار وحسب المستوى العلمي والمعرفي في فصل دراسي،

1- بِلُّو مانا، رحلة اللغة العربية من المغرب العربي إلى دولة الكاميرون، مصدر سابق: 85، 86؛
2- بِلُّو مانا، رحلة اللغة العربية من المغرب العربي إلى الكاميرون، المصدر السابق: 87؛
3- بِلُّو مانا، رحلة اللغة العربية من المغرب العربي إلى الكاميرون، المصدر السابق: 88؛
4- الشعراء: 109، و127؛

وإنما يترك للدارس حرية اختيار الكتاب الذي يريد دراسته، والشيخ الذي يرغب تلقي العلم منه، وله حرية أيضا تلقي الدروس عند عدد من المشايخ، فيختار كتاب كذا في الفقه أو الحديث أو التفسير أو اللغة أو غيره يتلقاه من معلم كذا، وينوع المشايخ، فيذهب إليهم في كتاتيبهم وبيوتهم؛

وتكون هذه الكتاتيب أو الدهاليز في مداخل بيوت هؤلاء العلماء المشايخ، فالتناوب يتم من خلال تنقل الدارس من بيت شيخ إلى آخر، ويقسمهم في فترات صباحية ومسائية، "فلم يكن التعليم يقتصر في أخذه على شيخ واحد، بل كان لزاما على الطالب أن ينتقل من مكان إلى آخر لأخذ العلم من مشاهير العلماء... ولا تتوقف عملية مصاحبة الشيوخ والتزود بمختلف العلوم عند سن محدد، بل كانت العملية متواصلة يستطيع الطالب خلالها دراسة أمهات الكتب في المجالات شتى"؛[1]

أما تاريخ هذه المدارس التقليدية والمؤسسات التعليمة، فللكتاتيب والدهاليز تاريخ طويل وعميق، ودور كبير ليس فقط في المجتمع الكاميروني، بل عرف هذا النظام كل الشعوب الإسلامية في الشرق والغرب، والشمال، ففي بعض البلدان تتخذ من المسجد مقرا لها، وفي بعضها الآخر تمارس أنشطتها في بيوت المعلمين والمربين، وهي ذات أشكال مختلفة، وتؤدي أدوارا متنوعة، فتقوم بتعليم النشء المهارات اللغوية الأربعة، كمهارة القراءة، ومهارة الكتابة، ومهارة الفهم والاستماع، ومهارة الكلام والتحدث، وهي وسيلة من وسائل تعليم النشء أمور دينهم وكتاب ربهم وكل ما يتعلق بهما من معارف في اللغة والتاريخ والسير ، وهي مراكز تربوية لتكوين الأجيال، وهي تنشأ وتؤسس بجهود شخصية ومبادرات فردية، لا تتلقى أي دعم حكومي، فقد تطورت هذه الكتاتيب إلى أن أصبحت مؤسسات تربوية متكاملة وشاملة لجميع أساسيات حياة الإنسان الإفريقي؛[2]

المحور الثالث: أدوار المؤسسات التعليمية (المدرسة العربية التقليدية)

وعن دور المؤسسات التعليمية التقليدية، يقول أحد الباحثين: "فالمدرسة العربية مكنت الشعوب الإسلامية من المحافظة على هويتها الثقافية، وذلك مما زودت هذه الشعوب من قيم ومبادئ ثابتة وراسخة، فالمستعمر لم يواجه في الكاميرون المقاومة الشرسة في جنوب البلاد مثل التي واجهها في شمال البلاد، فقد استقبل في الجنوب بحفاوة واستقبال حار وترحيب وتصفيق، بينما وجد في الشمال جيوشا جرارة ومقاومة منقطة النظير، وما ذلك إلا لأنه وجد مناطق الشمال تتمتع بكل مقومات السيادة من ثقافة قوية واضحة المعالم، ذات أسس متينة"؛[3]

فهذه المدارس والمؤسسات التعليمية التقليدية العربية هي التي أفرزت لنا نخبة المعلمين، والمربين والموجهين والمرشدين والدعاة، و"يقصد بالدعاة: الأفراد المسلمون الذين تلقوا قدرا من العلوم الدينية، وعلى رأسهم الفقهاء والعلماء والمشايخ والقراء والقضاة، وكان هؤلاء يسمون في مختلف أنحاء القارة بأسماء مختلفة، مثل: المرابط، وألفا، والمعلم، والفقيه (ألفكيه)، والشيخ، وسيدنا، ومولانا، وكانوا يحظون بنصيب كبير من الاحترام

1- هداجي، محمد، العائلة الفودية، مصدر سابق: 56-57؛

[2]- سعيد علي وجمال بلبكاي، اللغة العربية في الكاميرون، مصدر سابق: 140-141؛

3- سعيد علي، الأدب الإفريقي المكتوب باللغة العربية في الكاميرون، الواقع والآفاق، مصدر سابق: 147؛

والتقدير، وكانت كل قرية في إفريقيا تقيم دارا لاستقبالهم واستضافتهم، وكان الحكام والملوك الأفارقة سواء أكانوا مسلمين أو وثنيين يعاملونهم باحترام، وكانوا يتخذون منهم مستشارين ووزراء يصرفون لهم أمور الدولة، مثلما كان الحال في دولة "غانة" الوثنية، وكان هؤلاء الدعاة ينشئون الكتاتيب لتعليم الأطفال الوثنيين القراءة والكتابة، وبعض العلوم الأخرى، ومن ثم يصبح هؤلاء الأطفال بذرة إسلامية داخل الأسر الوثنية، وكذلك كان الدعاة ينشئون المدارس التي كانت تعد مراكز مهمة لنشر الإسلام وثقافته وكذلك المساجد والزوايا والأربطة والخلاوي التي كان يلتقي فيها الأفارقة بالدعاة، ويتلقون عنهم العلوم الدينية، حيث يخرجون دعاة للإسلام بين أهاليهم وأقاربهم"؛[1]

وقد كانت هذه المدارس والمؤسسات حصنا حصينا لمكونات المجتمعات الإفريقية، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية والسياسية، وهذه المؤسسات التعليمية التقليدية هي "منظومة تعليمية تربوية متكاملة، تتمثل في المدارس القرآنية، والحلقات التعليمية تبني الأجيال، وتكون المواطن، وتعده إعدادا شاملا يستطيع به المساهمة في بناء الوطن وخدمته... نتيجة لهذه الأدوار نجد ما يشبه الذوبان التام في الثقافة الغربية لدى سكان المناطق الجنوبية، والصمود التام عند سكان المناطق الشمالية "،[2] بمعنى أن مجتمعات المناطق الجنوبية ذابت في الثقافة الغربية، لأنها لم تكن على درجة من الثقافة تؤهلها للمحافظة عليها، بينما نجد مجتمعات المناطق الشمالية كانت على وعي ثقافي كبير، لم تكن بحاجة إلى ثقافة أجنبية غربية، وهي تعي الخطر الوجودي إن هي تخلت عن ثقافتها، وقيمها ومبادئها؛

فقد "تمتع العلماء وطلاب العلم بمكانة اجتماعية عالية، وتولوا مناصب التدريس والقضاء والدعوة والإفتاء وقيادة المجالس الاستشارية والوعظ والإرشاد والإمامة وغيرها من المناصب ذات الصلة بثقافتهم الإسلامية المتميزة، وأصبحوا يشكلون مجموعة من الصفوة الإسلامية التي ربطت نفسها بالدفاع عن الدين الإسلامي والعمل على نشره"؛[3]

وعلى هذا الأساس فقد أدت المؤسسات التعليمية التقليدية أدوارا كثيرة وكبيرة، شملت جميع جوانب حياة المجتمعات في إمارات ولاية أدماوا، من تلك الأدوار، ما يلي:

أولا: الدور السياسي: أسهمت المدرسة العربية المتمثلة في المؤسسات التعليمية التقليدية على تكوين نخب سياسية مؤهلة بخبرات تمكنهم من إدارة البلاد والمجتمعات، وبناء "نظام سياسي شبه ديمقراطي، يعتمد على مشاركة فاعلة لعدد من الأطراف من خلال توزيع المهام، وتقسيم الأدوار بهدف خدمة العباد والبلاد، ويتمثل هذا النظام في السلطات التقليدية والإمارات الإسلامية"؛[4]

1- رجب محمد عبد الحليم، تاريخ المسلمين... مصدر سابق: 7؛

2- سعيد علي، الأدب الإفريقي المكتوب باللغة العربية في الكاميرون، مصدر سابق: 147، 148؛

3- مهدي رزق الله أحمد، 1998، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقية قبل الاستعمار وأثرها الحضاري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1: 257؛

4- سعيد علي، الأدب الإفريقي المكتوب باللغة العربية في الكاميرون، مصدر سابق: 147؛

وفي هذا الصدد يقول الباحث مهدي رزق الله أحمد في كتابه حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيةقبل الاستعمار وآثارها الحضارية: "كانت الدولة التي أنشأها الشيخ عثمان مترامية الأطراف، وكان يصعب حكمها حكما مركزيا، لذا نجده منذ البداية يعتمد على عدد من المساعدين والنواب، وقسم الدولة إلى عدة إمارات، أشرف نفسه على إمارات سُكُّتُووكاتسيناوكيبي، أما وزيره فقد تولى الإشراف على إمارات كانو وزاريا... واتبع الشيخ نظام الدواوين، وسماها الولايات، فأنشأ عشرين ولاية لإدارة الدولة، أهمها: الخلافة العامة والوزارة والقضاء، ورد المظالم والجهاد، وقسم للغنيمة، وقسم للفيء، والكتابة، وقسم وضع الجزية، وقسم للصلاة، وقسم للصدقة والحج،وحدد لكل ولاية اختصاصاتها وأسلوب عملها"؛[1]

وهذا النظام هو الذي كان تسير عليه الخلافات والدول الإسلامية السابقة، مثل الدولة الأموية، والدولة العباسية، والدولة العثمانية، وهو النظام الذي سار عليه مودب آدم في إمبراطوريته الجنوبية، فقسمها إلى عدة إمارات وولايات، تقع بعضها في نيجيريا، وبعضها الكاميرون، وبعضها في تشاد، مثل التي ذكرناها آنفا؛

ومعظم الأمراء الذين قاموا بتأسيس الإمارات التقليدية في منطقة أدماوا الكاميرونية هم معظمهم من خريجي هذه المدرسة التقليدية والمؤسسة التعليمية العربية، وتجد إلى جانب هؤلاء الأمراء العلماء والمعلمين والفقهاء والدعاة يقومون بمهمة التوجيه والدعوة والإرشاد والنصح والتعليم والتربية، هذا ما نجده في إمارة نغاوندري، وإمارة بانيو، وإمارة نيغير، وإمارة تباتي، وإمارة غالم، وإمارة كونتشى...

والجدير بالتنويه أن الإمبراطوريات الإسلامية التي قامت من هنا وهناك والممالك والإمارات الإسلامية كانت الداعمة الأساسية لهذه المدرسة التقليدية والمستفيدة الأولى، وقد أدت أدوارا كبيرة في تطوير هذه المدرسة والاهتمام بها، وتقدير جهودها، وتنويه أدوارها وتنويع وظائفها، وتبنت اللغة العربية لغتها الرسمية، يقول أحد الباحثين: "وقد أسهمت هذه الممالك في نشر اللغة العربية وأدبها، وإرساء دعائمها، وتعزيز مكانتهما، فكانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية لهذه الممالك كلها دون استثناء، فهي حاضنة للغة العربية وأدبها وحضارتها وثقافتها"؛[2]

ثانيا: الدور الاقتصادي:يعتبر النشاط الاقتصادي أحد أعمدة أية، دولة، فقد حرصت إمبراطورية الجنوب على تطوير هذا النشاط وتحسينه، فاهتمت بالنشاط الزراعي أيما اهتمام، ولم تتغافل عن بقية الأنشطة الاقتصادية مثل الرعي والتجارة، وأدخلوا عناصر جديدة بحكم أثر تعاليم الدين الإسلامي الذي نشره علماء وفقهاء المدرسة التقليدية مثل الزكاة والخراج والجزية كما فرضت الضرائب على الحركات التجارية، واهتمت بالصناعات والحرف، وإباحة الصيد والغنائم، والفي؛

1- مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقية مصدر سابق: 255؛

2- سعيد علي، 2023، اللغة العربية حول بحيرة تشاد، قضايا لغوية وأدبية، دار حميثرا للنشر، 8 ش أبو الوفا-أحمد زكي-حدائق المعادي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1: 18؛

ومن مظاهر أثر المدرسة التقليدية العربية في الحياة الاقتصادية في إمبراطورية الجنوب، وإمارات ولاية أدماوا تحريم بعض الأنشطة الاقتصادية، مثل أكل الربا، وأكل السحت، وأكل أموال اليتامى، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل مواريث المرأة، ومنع الغصب، والنهب، والسطو، والسرقة والغش، والتدليس وتطفيف المكاييل والموازين؛

ثالثا: الدور الإداري: فقد اعتمد قادة وأباطرة الإمبراطورية على تسيير أمورها نظاما إداريا مغايرا للنظم الإدارية المتبعة في المنطقة، حيث اتبعوا النظام الإداري الذي كان يسير عليه الخلفاء العباسيون، وهو نظام الدواوين، فهناك ديوان الخلافة العامة، وديوان الوزارة، وديوان القضاء، وديوان الجهاد والجند، وديوان الغنائم، وديوان المظالم، وديوان الكتابة، وتنظيم الأمور الدينية من صلاة وحج، وزكاة، فللملوك والأمراء والقادة أعوانا وملأ يعرفون بالحواشي ويسمونهم باللغة المحلية بـ faada، أو ما يعرف بـ saraaki en laamu، فقد حدد وضبط مهام كل ديوان وأدواره ووظائفه وأهدافه، الأمر الذي ساعد في نهضة هذه الإمبراطورية وازدهارها في المجال الاقتصادي والسياسي والتماسك الاجتماعي، والاستقرار والأمن والسلام والتعايش السلمي بين مكونات وشرائح المجتمع بفضل القيادة الحكيمة والإدارة الراشدة وعدالة التسيير المستمدة من القوانين والضوابط والأخلاقيات الإسلامية؛

وقد وصف الباحث محمد هداجي نظام الإدارة في إمبراطورية سُكُّتُو، وهذا النظام لا يختلف عن نظام الإدارة في إمبراطورية الجنوب، فقال: "ومن جهة التسيير الإداري فقد كان الخليفة غالبا ما يلجأ في تحديد قراراته إلى مجلسين لكبار علمائه ومستشاريه، أحدهما يدعى المجلس الاستشاري الذي يضم المساعدين والأعوان المكلفين بمختلف المهام المنوطة بهم، أما المجلس الثاني فهو بمثابة مجلس تنفيذي لقرارات المجلس الاستشاري وأوامر الخليفة، حيث يضم القاضي والمحتسب والوزير، على أن الخليفة يسهر بصفة مباشرة على ضمان حقوق الرعية وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالإضافة إلى ضمان أمن الأشخاص، وحماية حدود الدولة من الاعتداءات الخارجية"،[1] وهذا الوصف ينطبق تماماعلى إمبراطورية الجنوب، حيث كانت الأخيرة منبثقة من الأولى، وهناك تشابه أو اتحاد شبه تام بين الإدارتين؛

رابعا: الدور العسكري: خرجت المؤسسات التعليمية التقليدية قادة عسكريين بارزين، على غرار الشيخ عثمان بن فودي، وعبد الله بن فودي، ومحمد بلو بن عثمان بن فودي، ومودب آدم القائد المجاهد المؤسس تلميذ الشيخ عثمان، وغيرهم كثر،نهلوا من ينابيع سيرة الرسول ﷺ، وتعلموا منها، ومن سورة آل عمران، وسورة الأنفال والتوبة وسورة الأحزاب التخطيط العسكري الحربي، وضرورةالصبر والثواب والشجاعة والإقدام والتضحية بالنفس والمال من أجل نصرة العقيدة والدفاع عن المبادئ والقيم، فهؤلاء هم الذين استطاعوا بفضل ما تلقوه في تلك المؤسسات والمدارس التقليدية العربية من العلوم والمعارف والأفكار والآراء والأيديولوجيات أن يغيروا المنطقة ثقافيا دينيا، سياسيا اقتصاديا، اجتماعيا عسكريا، إداريا، فكريا علميا معرفيا؛

1- هداجي، محمد، العائلة الفودية، مصدر سابق: 136؛

خامسا: الدور الثقافي: قامت المدرسة التقليدية بنشر التعاليم الإسلامية وعقيدته ومبادئ هذا الدين وقيمه وآدابه وأخلاقه في المجتمعات الإفريقية، الأمر الذي أدى إلى تغيير نمط حياة تلك المجتمعات، وصبغ أساليب عيشها صبغة دينية إسلامية، وتعزيز روابط الأخوة الدينية ووضعها فوق أخوة الدم والعرق واللون، وحلت تلك التعاليم الإسلامية محل الخرافات والمعتقدات المنحرفة والأساطير والسحر والشعوذة والكهنوتيات والوثنيات، فاعتنقت المجتمعات عقيدة الإسلام ودخلوا في هذا الدين أفواجا طواعية مختارين غير مرغمين، ومارسوا عبادات الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج وصلة وبر للوالدين وحسن معاشرة، ورسخت فيهم أخلاق الإسلام وخصاله من صدق وعفة وحياة، وكرم، وشجاعة، وعدالة وتعقل وصبر، وتوكل على الله، ووفاء بالعهود، وأمانة وغير ذلك؛

يقول الباحث مهدي رزق الله: "وحلت قيم الإسلام محل العادات والتقاليد الجاهلية... واختفت الأعياد الجاهلية لتحل محلها الأعياد الإسلامية المعروفة: عيد الفطر وعيد الأضحى، وسادت التقاليد الإسلامية في الزواج والطلاق والميراث والمآتم والعقيقة، ومن التقاليد التي ينفرد بها هذا المجتمع والدالة على أثر الإسلام فيه أن الزوجة لا تحاطب زوجها باسمه، بل تخاطبه بكلمة "مالم" وهو تحريف للكلمة العربية "المعلم"، وقضى الإسلام على كثير من الاعتقادات السائدة في المجتمع السحر والحسد والجن والعرافة، وكلما رسخت الثقافة الإسلامية في منطقة من المناطق وجدنا أثراضئيلا لهذه الممارسات"،[1] والذي أدى هذا الدور في المقام الأول وقام بهذه المهمة هي المدرسة العربية التقليدية المؤسسة التعليمية التي يُقلل من شأنها اليوم، ويُحط من قيمتها وأهميتها؛

ومن الدور الثقافي تعزيز الاعتزاز بالهوية الإفريقية لدى تلك المجتمعات وترسيخ شعورها بانتمائها الإفريقي، وهذا الذي يفسر قلة أعداد الشباب المسلمين الذين يقحمون أنفسهم في مخاطر الجوع والمشقات والموت في الصحاري والغرق في البحر بسبب الهجرات غير الشرعية رغبة في الوصول إلى أوروبا، مقارنة مع غير المسلمين، حيث ينزح غير المسلمين نزوحا بأعداد كبيرة، علما بأن هذه الهجرات تكلفهم مبالغ باهظة، يمكنهم استثمارها في مشاريع تمكنهم من الاستقلالية الاقتصادية؛

ومن هذا الدور الثقافي أيضا تطوير اللغات المحلية وتوسيع دائرتها من خلال تزويدها بمفردات وأساليب وبفنون جديدة مقترضة من اللغة العربية، وجعلها لغات محفوظة متطورة قادرة على الصمود ومسايرة الزمن ومواكبة المستجدات، كل ذلك من خلال اتصالها باللغة العربية لغة القرآن الكريم والحضارة الإسلامية، حيث استخدمت للحديث والمخاطبة والرسائل والتواصل الإداري والدبلوماسي؛

وبناء على هذا فقد أسهمت المدرسة التقليدية في: " المحافظة على الأدب الإفريقي... وهذا ما نلاحظه في صمود وثبات اللغات الإفريقية التي اعتنق أصحابها الإسلام، وتبنت اللغة العربية لغة لها، فاللغة العربية لم تؤد الوظيفة الاستعمارية السلبية، وإنما قامت بمهمة تطوير اللغات التي تحتك بها، وقد حافظت عليها وزودتها بكل مقومات الصمود والثبات والسيرورة والاستمرارية، ولذا نلاحظ آداب الشعوب المسلمة محفوظة ومتطورة، بما اكتسبت من أساليب متطورة، وأفكار ومعان وأخيلة زادت على ما كانت تمتلك، مقارنة مع

1- مهدري رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام، مصدر سابق: 157-158؛

لغات الشعوب غير المسلمة التي يهددها خطر الانقراض رغم أنها في قائمة اللغات الموجودة في العالم، وبالتالي تتعرض معها هوية أصحابها لخطر التلاشي أيضا، ومن هنا ندرك أن تأثير اللغة العربية وأدبها تأثير إيجابي تطويري بناء، وأما تأثير اللغات الاستعمارية سلبي؛ لأنها تحاول طمس ما وجدت، والاستحواذ عليه، وإزاحته من الخارطة، واستئصاله استئصالا تاما"،[1] ومما ساعد على تطوير اللغات الإفريقية أن الدروس في الكتاتيب والدهاليز كانت "تلقى باللغة المحلية، وهذا قد ساعد في إثراء تلك اللغات وتوسيع قدراتها الاستيعابية؛[2]

وبالمحافظة على لغات الشعوب والأمم المسلمة تكون اللغة العربية حافظت على هوية تلك الشعوب، ووجودها، يقول أنور الجندي: "تعرف مدى أهمية اللغة في حياة الأمم، بأنها هي علامة الحياة، وأن الحرمان من اللغة هو علامة الموت، وأن الأمة التي تدخل تحت حكم دولة أجنبية، تفقد استقلالها وحريتها، وتصبح مستعبدة لها، ولكنها لا تفقد حياتها ما دامت محافظة على لغتها، أما إذا فقدت اللغة فتكون قد فقدت الحياة، وتكون اندمجت في الأمة المستولية عليها"،[3] وهذا ما نجده في لغات الشعوب الإسلامية، مثل الفارسية، والتركية، والأردية، والسوايحلية، وفُلْفُلْدِي، والهواسة، والبمبراوية وغيرها من لغات الشعوب التي اعتنقت الإسلام والعكس لغيرها، حيث تعاني كثيرا في كل مستوياتها الصوتية، والصرفية والتركيبية، والأسلوبية والأدبية، وتكاد تفقد دورها الاجتماعي والثقافي والديني والاقتصادي والسياسي؛

ويؤكد هذا المسار الباحثان النيجيريان محمود راجي وآمنة محمد بشير في مقالتهما المعنونة: منافذ دخول اللغة العربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء حيث قالا: "والجدير بالتنويه أن اللغة العربية قد أسهمت في تطوير كثير من اللغات الإفريقية بما زودها بالمفردات التي أثرت معجم تلك اللغات، ثم إنه قد كتبت العديد من تلك اللغات أيضا بالحرف العربي، وفي ذلك فوائد بالنسبة لتلك اللغات الإفريقية، حيث حفظها من الضياع والاندثار، وروجها وأعطاها قيمة على عكس ما فعلته اللغات الأوروبية الغازية التي سعت إلى طمس الهوية الإفريقية بالكامل، ومحاربة لغات الشعوب الإفريقية بدعوى أنها لغات غير منتجة، وغير صالحة لمواكبة العصر، فاللغة العربية لم تسع أبدا في الهيمنة على اللغات الأخرى، بل ساعدتها على النمو والتطور والازدهار، فهي بذلك عامل إيجابي"؛[4]

ومن مظاهر تأثير المدرسة العربية التقليدية انتشار المساجد في القرى والمدن بأعداد كثيرة، وانتشار مدارس الخلاوي القرآنية، وحلقات الدهاليز والكتاتيب التي تعد الأجيال، وتربي النشأ، وتزود الكبار بمعلومات ومعارف في مجالات شتى، دينية ثقفية، سياسية اقتصادية، اجتماعية عسكرية، إدارية وحضارية، فيتخرج منها قادة مؤهلين فكريا وعلميا،

1- سعيد علي، الأدب الإفريقي المكتوب باللغة العربية في الكاميرون، مصدر سابق: 148؛

2- ميكائيل صالح، الأدب العربي في الكاميرون بين الأصالة والتجديد، الكتاب الجماعي، أحمد يردونا، اللغة العربية لغة التواصل والثقافة حول بحيرة تشاد، مصدر سابق: 236؛

3- الجندي، أنور، 1982، الثقافة العربية: إسلامية أصولها وانتماؤها، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط1: 38؛

4- محمود راجي وآمنة محمد بشير، 2020، منافذ دخول اللغة العربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء، الكتاب الجماعي، أحمد سردونا، أضواء على الثقافة العربية الإفريقية في منطقة جنوب الصحراء، دار dimimber et Larimber, Yaoundé: 38-39؛

سياسيا وإداريا، اقتصاديا واجتماعيا، فكريا ومعرفيا، ثقافيا ودينيا، وهذا انطلاقا من أن دين الإسلام هو "دين ومنهج حياة ومجتمع وحضارة ... وقد جاء الإسلام بنظام كامل ولم يقتصر على التوحيد والعبادات... فإن النظرة العربية الإسلامية، هي: نظرة جامعة شاملة، لا ينفصل فيها المجتمع عن العقيدة، ولا السياسة عن الأخلاق، ولا الروح عن المادة، ولا القلب عن العقل، ولا الدنيا عن الآخرة"؛[1]

سادسا: الدور الاجتماعي: فقد أدت المدرسة التقليدية دور التوعية والتربية والتعليم والتوجيه والتهذيب للمجتمعات الإفريقية، مما أدى إلى اختفاء العادات السيئة والتقاليد القبيحة، والأعراف المنحرفة لدى القبائل التي اعتنقت الإسلامية وحتى التي لم تعتقنه بدأت تغير نظرتها إلى تلك العادات والتقاليد والأعراف، مثل: عادات شرب الخمور، وقتل الأولاد، ووأد البنات، والتعدد اللامحدود للزوجات، وزواج المقت، واستعباد النساء، وتحريمهن من الميراث والطلاق، واتخاذهن سلعا تباع وتشترى عند الزواج، واستخدام الزوجات كالخدم، وقد حورب التعري والتعصب القبلي والعنصرية؛

سابعا: الدور التراثي الحضاري: أسهمت المؤسسات التعليمية (المدرسة التقليدية) فيبناء صرح من التراث والحضارة في أيةبقعة جغرافية قامت فيها، ومن ذلك منطقة أدماوا الكاميرونية، فهي المدرسة الأولى التي عرفتها المنطقة، وهذه المدرسة أدت دور نقل العلوم والمعارف والخبرات والتجارب إلى المنطقة، كما قامت بمهمة تعزيز الثوابت الحضارية، وتسجيل الأحداث التاريخية للمنطقة، ونشر القيم والمبادئ والعادات الحسنة والتقاليد المفيدة، والمحافظة على الهوية الثقافية للمجتمعات، وتغيير نمط حياة المجتمعات البشرية القاطنة في المنطقة تغييرا جذريا من السيء إلى الحسن فالأحسن، من الضار إلى النافع فالأنفع؛

فالتراث هو كل ما ينتقل من السلف إلى الخلف، قد يكون التراث ماديا، سواء كان هذا التراث المادي طبيعيا من الجبال والبحار والوديان والصخور والصحاري والغابات والأنهار والحيوانات والنباتات وغيرها، أو كان تراثا ماديا بشريا كالأموال والملابس والعقارات والبيوت والقصور والسدود والحدائق والبساتين، والرقصات، والنحوت، والنقوش، والكتابات، والآلات والأدوات والفنون التشكيلية والمصانع، واللغة والآداب؛ وقد يكون هذا التراث معنويا، وهو عبارة عن المعتقدات والأديان والقيم والنظم والمبادئ والأخلاق والعلوم والمعارف والأفكار والتجارب والخبرات والآراء والعادات والتقاليد... ومن هذا التراث تتكون عقلية الأمة وكيفية تفكيرها وقناعاتها الاجتماعية، كما أن منه يتشكل ماضي الأمة الذي تعتمد عليه غالبا في بناء الحاضر والمستقبل"،[2] وقد صدق القائل: "إن حياة الأمة رهينة بحياة تراثها، فإن الأمة التي لا تراث لها، لا تاريخ لها، وإن الأمة التي لا تاريخ لها ليست إلا كتلا بشرية لا وزن لها في ميزان الأمم"؛[3]

1- الجندي، أنور، الثقافة العربية: إسلامية أصولها وانتماؤها، مصدر سابق: 11؛
2- إدريس بكري، الأدب العربي في حوض بحيرة تشاد: النشأة والتطور، سعيد علي، الكتاب الجماعي اللغة العربية حول بحيرة تشاد، قضايا لغوية وأدبية، مصدر سابق:149-150؛
3- الجندي، أنور، الثقافة العربية، إسلامية أصولها وانتماؤها، مصدر سابق: 48-49؛

وأما الحضارة فمن الحضور والإقامة في المدن والاستقرار بها بشكل ثابت ومستمر، ويأتي بمعنى ضد الغياب أو التأخر،[1]والحضر: المدن والقرى والأرياف، وضده البادية، ويطلق على ساكن المدن أيضا، والحاضر ضد الغائب، ويأتي بمعنى القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه، والحضارة الإقامة في الحضر، أي في المدينة أو القرية،[2] وقد جاءت كلمة "حضر" ومشتقاتها في القرآن في عدة مواضع، وتدور معانيها حول ما ذكر آنفا؛

ويقصد بالحضارة اصطلاحا عدة تعريفات فنأخذ من تلك التعريفات تعريف حسين مؤنسحيث يقول: "العبرة في منجزات البشر بما ينفع أكبر عدد من الناس، وييسر لهم أسباب الاستقرار والأمن"،[3] ثم يستطرد قائلا: "فرغيف الخبز مثلا أنفع للبشر من الوصول إلى القمر، لا بما يبهر العيون ويرد الإنسان إلى الشعور بالقلق، وانعدام الأمن، وبالفعل أنفقت الإنسانية عشرات الآلاف من السنين حتى وقفت على صنع رغيف الخبر أو إناء من الفخار... فرغيف الخبز وإناء الفخار مقياسان أصدق للتقدم الحق من الوصول إلى القمر والعودة بقطع من حجارته؛ لأن رغيف الخبز نعمة لا يأتي منها إلا خير، وإنا فخار اختراع أدخل على حياة الناس تيسيرا بعيد المدى، فكلاهما نقطة تحول في حياة الناس، أما الأهرام أو قصور فرساي أو ناطحات السحاب أو مربات القمر فماذا تعني؟ فأما الأهرام فتعني أن ألوف البشر ظلوا يعملون عشرات السنين لينشئوا قبرا لإنسان واحد، وقصور فرساي تعني أن جهود ألوف أخرى قد صرفت على عمل منشآت يزهو بها ملوك لم يعرفوا في حياتهم غير الظلم والأنانية واحتقار الناس، وأما نواطح السحاب فقد ثبت بالبرهان أن العيش فيها يصيب النفس بالكآبة والضيق وجفاف الطبع الإنساني، وأما مركبات القمر فأي نفع عادت به إلى الإنسان؟"؛[4]

وذكر حسين مؤنس تعريفا آخر يصب في منوال التعريف السابق فيقول: "الحضارة ... هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية"،[5] وللحضارة عناصر أساسية، هي الزمن أو التاريخ، العقل أو التفكير، الإنسان،[6]والاستقرار والأمن، والبيئة الجغرافية والمناخية المناسبة، فلا تقوم حضارة إلا بهذه العناصر، كما لا تزدهر إلا بها؛

وعن إقامة الحضارات في إفريقية يقول حسين مؤنس: "قد كان الماضون يرون أن الجنس الأسود أقل ذكاء وقدرات من غيره من الأجناس، ولكن ثبت بالبرهان اليوم، أن ذلك

1- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، 2008، القاموس المحيط، مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، نسخة منقحة وعليها تعليقا الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، طبع-نشر-توزيع، القاهرة: 373؛

2- مجمع اللغة العربية، 2004، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمخيمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط4: 180-181؛

3- حسين مؤنس، 1978، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة: 9؛

4- حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المصدر السابق: 9؛

5- حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المصدر السابق: 13؛

6- حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المصدر السابق: 17؛

وهم لا يقوم على أساس ... وفي تاريخ إفريقيا التي توصف خطأ بالسوداء قامت قبل الاستعمار الأوروبي، دول إسلامية كبرى ذات حضارات ونظم لا تقل عن معاصراتها في شتى نواحي العالم الإسلامي ... بل شهد رحالة المسلمين الذين زاروا هذه الدول وكتبوا عنها... بأن أهل هذه البلاد يمتازون بخلق متين وأمانة وصدق وصفاء نية وبعد عن الخداع ... وخلال فترة الاستعمار هذه نشرالأوروبيون آراء سيئة عن الجنس الأسود، بعد ما خربوا ما وجدوه ببلاده من دول وحضارات..."؛[1]

وفي وصف الحالة التي كانت تعيشها الشعوب والمجتمعات الإفريقية السوداء في مناطق جنوب الصحراء، يقول حسين مؤنس: "ونظرا لكثرة أسباب الموت من أمراض ووحوش وهوام وحروب لا تنتهي بين القبائل نما في القلوب خوف من الموت، ولم يجد الإنسان سلاحا لدفع هذا الموت الذي كان يحصد الناس بصورة قاسية ودائمة، إلا السحر والكهانة لدفع الأرواح الشريرة، وسيطرت المخاوف والسحر والكهانة على ذهنه... وعندما عرف الإنسان الأسود حضارة أرقى مما عنده وهي حضارة الإسلام، ارتفعت من قلبه المخاوف، وعرف الإيمان بالله، وتعلم تنظيما جديدا لجماعته، وعرف الكتابة فكتب لغته بحروف عربية، هنا تفتحت مواهبه، وأنشأ الدولة المنظمة"؛[2]

وبناء على ما تقدم عن مفهوم الحضارة الواسع، ندرك أن هناك حضارات قامت في عدة مناطق في إفريقيا، ومنها المناطق التي تعد في ولاية أدماوا الكاميرونية، وأن المؤسسة التعليمية أو المدرسة التقليدية العربية كان لها دور كبير وفعال في إقامة هذه الحضارات، وتوطيد دعائمها، وإرساء أركانها، وتعزيز مكانتها، والمحافظة على ركائزها، الحضارة التي أسهمت في تحسين ظروف حياة الناس، وتقديم الحلول الجذرية لمشكلاتهم، ومعالجة معاناتهم، ومساعدتهم على التمكن من العيش الكريم في أجواء مليئة بالأمن النفسي والروحي، والاستقرار، والأهم من ذلك أن إنسان هذه البيئات أدرك قيمته ودوره الإنساني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والحضاري والتاريخي.

الخاتمة: في نهاية هذا البحث نصل إلى نتيجة مفادها:

1. أن إمبراطورية الجنوب هي إحدى الإمبراطوريات التي قامت على الجزء الذي كان يعرف بالسودان الأوسط، إذا تغطي أجزاء كبيرة وواسعة شاسعة في هذه المنطقة، بعضها في دولة نيجيريا، وأكبرها في الكاميرون، وتضم مناطق في جمهوريتي تشاد وإفريقيا الوسطى؛
2. أن إحدى أجزائها الواقعة في الكاميرون هو الذي يطلق عليه بعد تقسيم الإمبراطورية إلى أشلاء بولاية أدماوا، وهي الولاية العاشرة من الولايات التي يتكون منها جمهورية الكاميرون، وهي تقع في قلب الدولة الكاميرونية؛
3. أنه قام على أرض ولاية أدماوا إمارات إسلامية، وصبغت حياة سكان تلك المناطق بصبغة إسلامية، تحمل الحضارة العربية الإسلامية العريقة؛

[1]- حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المصدر السابق: 19؛
[2]- حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المصدر السابق: 19، 20؛

4. أن المؤسسات التعليمية والمدرسة التقليدية هي تلك المؤسسات التعليمية العربية التقليدية القديمة العريقة التي حملت على عاتقها نقل العلوم والمعارف والتجارب والأفكار الإسلامية إلى المناطق التي دخلتها الثقافة العربية الإسلامية؛
5. أن هذه المؤسسة التعليمية والمدرسة التقليدية هي أولى المؤسسات التعليمية التي عرفها الإنسان الإفريقي، ومنها بدأ تعليمه القراءة والكتابة والمكاتبات والمراسلات، وتدوين تاريخه، وتسجيل أحداثه، وكتابة لغته بالحرف العربي؛
6. أن هذه المؤسسات التعليمية والمدرسة التقليدية أدوت أدوارا كثيرة وجليلة متنوعة، منها تكوين الكوادر والأطر والنخب السياسية والاقتصادية والفكرية والعلمية والاجتماعية والعسكرية؛
7. وشملت أدوار هذه المدرسة التقليدية جميع جوانب حياة المجتمعات التي تحتك بها، من تلك الأدوار، الدور السياسي، والاجتماعي، والثقافي، والفكر العلمي والحضاري، والعسكري والتربوي؛
8. أن هذه المدرسة التقليدية أسهمت في المحافظة على هوية الإنسان الإفريقي، بما زودته من قيم ومبادئ ونظم انضمت إلى تلك التي كان هذا الإنسان يمتلكها؛
9. أن من أدوار المدرسة التقليدية المحافظة على لغات الشعوب والمجتمعات الإفريقية، وتطويرها وتوسيع دائرة معجمها، وتعزيز قدراتها التعبيرية، بتزويدها بمفردات وأساليب وفنون جديدة، بحفظ تلك اللغات حفظ كيان هذا الإنسان؛
10. أن من أدوار تلك المدرسة التقليدية أيضا المحافظة على الروابط التاريخية لشعوب القارة، بربط ماضيها بحاضرها لاستشراف مستقبلها.

توصيات ومقترحات:

في نهاية هذا البحث نقدم مقترحات وتوصيات تالية:

تشكيل لجنة دائمة مهامها:

1. كتابة تاريخ ورصد الملامح الحضارية لإمبراطورية الجنوب والإمارات التي كانت تابعة لها في كل البلدان المذكورة في البحث؛
2. كتابة سير وأدوار الرموز السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية والفكرية والعسكرية التي أسهمت في إقامة الإمبراطورية والإمارات التابعة لها، وتطويرها، من الملوك والأمراء، والقضاة، والعلماء والمعلمون، والمربون والدعاة؛
3. تنظيم اللقاءات العلمية والمؤتمرات والندوات المكثفة والمتكررة سنويا للتقريب بين وجهات النظر حول قضايا المنطقة التي تضمها إمبراطورية الجنوب، وإزالة الحواجز المفروضة على شعوب المنطقة.

المصادر والمراجع:

أولا: الكتب العربية:

✓ الإلوري، آدم عبد الله، 2013، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو...تقديم عبد الحفيظ أولادسو، دار الكتاب المصري، القاهرة، مكتبة الإسكندرية، دار الكتاب اللبناني، بيروت؛

- ✓ الإلوري، آدم عبد الله، 1965، موجز تاريخ نيجيريا، قاموس صغير يلقي الضوء على تاريخ هذه البلاد قديمه وحديثه، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت؛
- ✓ الجندي، أنور، ،1982الثقافة العربية: إسلامية أصولها وانتماؤها، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط1؛
- ✓ جوان جوزيف، 1984، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1؛
- ✓ حسين مؤنس، 1978، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة؛
- ✓ رجب محمد عبد الحليم، (د.ت)، تاريخ المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، شركة سفير، جزيرة العرب، المهندسين، القاهرة؛
- ✓ سعيد علي، 2023، اللغة العربية حول بحيرة تشاد، قضايا لغوية وأدبية، دار حميثرا للنشر، 8 ش أبو الوفا-أحمد زكي-حدائق المعادي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1؛
- ✓ الفلاتي، الطيب عبد الرحيم محمد، 1994، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، دولة الكويت، ط1؛
- ✓ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، 2008، القاموس المحيط، مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، نسخة منقحة وعليها تعليقا الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، طبع-نشر-توزيع، القاهرة؛
- ✓ مجمع اللغة العربية، 2004، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمخيمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط:4؛
- ✓ مهدي رزق الله أحمد، 1998، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقية قبل الاستعمار وأثرها الحضاري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1؛
- ✓ وجدي، محمد فريد، 1971، دائرة معارف القرن الرابع عشر –العشرين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3.

ثانيا: الرسائل العلمية الجامعية:

- ✓ أحمد محمد، 2008-2009، أثر الإسلام الثقافي والحضاري في وسط إفريقيا، الكاميرون نموذجا، أطروحة الماجستير، كلية الدعوة الإسلامية شعبة الدعوة والحضارة، طرابلس، ليبيا؛
- ✓ هداجي، محمد، : 2020-2021، العائلة الفودية ودورها الإصلاحي في السودان الأوسط خلال القرن 13هـ 19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، السنة الجامعية.

ثالثا: المقالات العلمية:

✓ إدريس بكري، 2023، الأدب العربي في حوض بحيرة تشاد: النشأة والتطور، سعيد علي، الكتاب الجماعي اللغة العربية حول بحيرة تشاد، قضايا لغوية وأدبية، دار حميثرا للنشر، 8 ش أبو الوفا-أحمد زكي-حدائق المعادي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1؛
✓ بِلُّو مانا، 2018، رحلة اللغة العربية من المغرب العربي إلى دولة الكاميرون قبل الاستقلال، مدينة ماروا نموذجا، الكتاب الجماعي، أحمد سردونا، اللغة العربية لغة التواصل والثقافة حول بحيرة تشاد، الحكمة، ياوندي، ط1؛
✓ حركة عثمان دان فوديو بغرب إفريقيا، 1775-1817، 2024، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، مجلد 33، عدد63، أبريل؛
✓ سعيد علي وجمال بلبكاي، 2015، اللغة العربية في الكاميرون بين الواقع والمأمول، وسائل الانتشار ودور المؤسسات، مجلة العربية والترجمة، إصدار المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، السنة السادسة، العدد:20، شتاء؛
✓ سعيد علي، 2023، الأدب الإفريقي المكتوب باللغة العربية في الكاميرون، الواقع والآفاق، دراسة تاريخية بلاغية، الكتاب الجماعي الأدب الإفريقي جنوب الصحراء المكتوب بالعربية، قضايا النوع وجماليات المرجع، إشراف شعيب حليفي، منشورات مختبر السرديات، الدار البيضاء، ط:1؛
✓ محمد سعودي، 2015، تعليم اللغة العربية في الكاميرون، الكتاب الجماعي Kaliao، المدرسة العليا لإعداد المعلمين، جامعة ماروا، العدد :4؛
✓ محمود راجي وآمنة محمد بشير، 2020، منافذ دخول اللغة العربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء، الكتاب الجماعي، أحمد سردونا، أضواء على الثقافة العربية الإفريقية في منطقة جنوب الصحراء، دار dimimber et Larimber, Yaoundé؛
✓ ميكائيل صالح، 2018، الأدب العربي في الكاميرون بين الأصالة والتجديد، الكتاب الجماعي، أحمد يردونا، اللغة العربية لغة التواصل والثقافة حول بحيرة تشاد، الحكمة، ياوندي، ط:1.

رابعا: المصادر الأجنبية:

✓ Eldridgue Mohammadou, 1983 ,Peuples et Royaumes du Foumbina, institute for the study of Languages and cultures of asia and africa (ILCAA).

خامسا: المواقع الإلكترونية:

✓ https://fr.wikipedia.org/wiki/Modibbo_Adama).